رواية

طموحات في الوحل

حسن صالح برام

طموحات في الوصل

حسن صالح برام

قلاري الإبداع
مكتبة قلاري الإبداع

عن الرواية..

كل الشخصيات المذكورة غير حقيقية وكذلك كل الاسماء والأحداث ما هي إلا من وحي خيال الكاتب ليجسد واقع معاش،وأيضاً لا يقصد الإساءة لأي جِهة أو مُجتمع أو حتى بقعة أرض تعرض لها من خلال السرد .. الراوي يستعير لِسان فتاة قروية يافعة تفعل المستحيل من أجل تحقيق حُلمها فتجول الأمكنة دون محض إرادتها فتمر بمواقِف مُختلطة بين الفرح والحُزن لتلقنها الحياة درساً لا تستحقهُ.

" الراوي "

من الغريب أن يكون أحب الناس إلينا

أقدرهم على تشويش حياتنا

جبران خليل جبران

إهداء..

إلى أُمي التي تُساندني في كل كبيرة وصغيرة في حياتي

وأبي الذي علمّني معنى الصبر والإجتهاد في الحياة.

الخرطوم – الكلاكلة

٢٠١٨/٠٧/١٩م

الساعة ٨:١٤ ص

تمهيد ..

بين الجبال الشاهقة وفي ساحة مخضرة بأقصى غرب السودان تحت ظل شجرة كثيفة الأوارق تعبث بها الرياح شمالاً وجنوباً، تجلس تحتها إمرأة كبيرة في السن بائسة يائسة لا تستطيع الهروب من تحت ظلها مُستلقية أسفلها طوال نهارها وكأنها في زنزانة إنفرادية عاجزة عن الحركة كأنها جثة هامدة لا تحرك إلا مقلتيها بالجانب الآخر هناك أطفال يمرحون لا يأبهون لشمس السودان الحارقة وهم حفاة كأنهم فراشات يداعبون الزهر من زهرة لزهرة أخرى، وبمقربة من هذه الشجرة هناك مجموعة من النساء يجتمعن كالعادة لإحتساء القهوة تحت ظل "راكوبة من القش" صممت خصيصاً لمثل هذه الجلسات يظلون يثرثرون من الظهيرة حتى العصر بدون كلل أو ملل يتناولون أطراف الحديث بكل ما يدور في البلدة من أحداث وعن المستجدات تارة وتارة أُخرى يتحدثون عن علاقاتهم الحميمية مع أزواجهم ويتفاخرون بفحولة أزواجهم في العملية الزوجية ومن ثم ينتقلون إلى

السخرية والنميمة والإستحقار من نساء الحي اللواتي يبغضوهن حالهن كحال معظم تجمعات نساء القرية الأُخريات، لك أن تُغمض عيناك وتتخيل المشهد وعقلك يجول بك في سماء إفريقيا وأرض السودان متنوعة الأعراف والعادات والقبائل والمجتمعات.

****

القرية الملكية

بين سفوح الجبال هناك أناس لا يعلمون ما هو العالم ولا العالم يدري بهم من هم،إنهم أناس في بقعة محدودة وذوي فكر محدود كأنهم من العصر الحجري لهم عاداتهم وتقاليدهم الغريبة التي يمارسونها، في قرية صغيرة بأواسط جِبال مُرتفعة وغابات متاشبكة في مناخ إستوائي أو شبه بالسافنا الغنية تقع قرية صغيرة منازلها بدائية كل مبانيها من القش والطين "الجالوص" لها شوارع ضيقة مترابطة ومتشابكة لا يفهمها إلا أهلها كأنها متاهة إذا دخلها غريب سوف يحتاج لدليل القرية حتى يخرج من هذه المتاهة في أقصى شمال هذه القرية هناك حظائر للحيوانات من أبقار وماعز وخراف معظمها تؤول للعمدة و بالإتجاه المعاكس هناك حقول مساحتها تقدر بمئات الأفدِنة مزروعة بالذرة "الدخن" والبطيخ واللوبيا وغير ذلك .. وتجد في معظم البيوت على نواصيها حظائر صغيرة للمواشي تجاورها مزارع صغيرة للبامية والخضروات التي يعتمد عليها سكان القرية في غِذائهم تسمى بـ "الجبراكات" وفي منتصف هذه المنازل هناك ساحة واسعة بها جذوع أشجار ضخمة إنها ساحة الإحتفالات والمناسبات والأعياد وأيضاً تعتبر نقطة تجمع أهل

القرية إذا كان هنالك أمر طارئ ولكن معظم ما يشغل هذه الساحة هو طقوس ومراسم الأعراس إذ تراها لأول مرة تحسبها ملعب " الكامب نو" بإقليم كتلونيا في اسبانيا يضم الكلاسيكو او العرس الكروي العالمي من كثرة إحتشادها بالأشخاص إلا إن الحقيقة تكون غير ذلك فأنه غالباً ما تكون هناك مناسبة تشهد طقوس عرس أحد أفراد القرية إنه العرف المتداول والمتعارف لدى المسلمين المعروف بالإشهار فهناك طبول ومعزوفات تدل على نوع كل مناسبة فتجد القرية بكبارها وصغارها يزحفون نحو الساحة من ضمن كل تلك المنازل يوجد منزل في أطراف القرية تتسوره الاشواك ومخلفات القصب بداخله عدد من القطاطي إنه منزل المزارع موسى الذي تتكون أُسرته من خمسة أفراد موسى وزوجته عوضية ولديه ثلاثة أطفال بنت وولدين البنت هي الكبرى بين أشقائها تدعى عرفة تبلغ من العمر إحدى عشر ربيعاً بينما خالد أربعة أعوام وسالم رضيع لم يكمل ربيعه الثاني بعد، موسى يعمل كفلاح في مزارع الآخرين لأنه لايملك مزرعة خاصة به، يقضى جل نهاره في الحقول الخضراء يعمل بكد وجهد من أجل توفير لقمة عيش كريمة لأُسرته التي تعتمد عليه كلياً، أما

عوضية زوجته فهي ربة منزل بلا عمل إمرأة لا تعيش واقعها لأنها ترى إن الحياة والوضع الراهن لا يليق بها وإنها لا تستحق حياة الفقر هذه وتعتبر زواجها من موسى أكبر غلطة إرتكبتها في حياتها وهي لا تعلم إن حياتنا ومصيرنا لا دخل لنا به بل إنه تقدير الخالق الرزاق، كل ما يهم عوضية إنها تريد أن تعيش كصديقتها إخلاص التي زوجها يعمل تاجر محاصيل بالقرية تريد أن تصبح مثلها بأن يتوفر لها كل ما لذ وطاب من حُلي و زينة ومأكل ومشرب تريد أن تكون مثلها مهما كلف الثمن وإن كان ذلك على حساب زوجها وأطفالها، عرفة طفلة هادئة ليست كبقية الأطفال دائماً ما تجدونها منطوية على حالها لا تشارك أخوانها وقريناتها اللعب واللهو إذ تراها لأول مرة تظنها تعاني من التوحد مغلقة على نفسها لاتتحدث كثيراً إلا إذا سألها أحد، بطيئة الحركة لذلك دائماً ما توبخها والدتها " أصلك كسلانة وما منك فايدة " ولكن في الحقيقة لم تلاحظ الأُسرة لماذا عرفة ليست كبقية الأطفال ولم يخطر حتى على بال والدتها التي لا تكترث لشيء غير نفسها، فهي دائماً ما توبخها ولم تجد أحد يتطرق لمشكلتها، إن مشكلتها ليست توحد أو علة مرضية إنما ترغب في الدراسة

كبقية الأطفال الذين يدرسون، فعندما كانت تخرج للعب مع قريناتها في الحي اللواتي في سنها تحت شجرة اللالوب التي تقرب من مدرسة القرية كان الأطفال كل حديثهم عن الدروس التي يأخذونها في المدرسة فتكون بينهم كالربان الذي فقد بوصلته في محيط متلاطم الأمواج وهو لا يعرف له بداية من نهاية ولا شرقاً عن غرباً ، فأصبحت لا تجد نفسها بين هؤلاء الأطفال ولا يعلم أحد بشرودها الدائم وسبب تخفيها وبعدها عن الآخرين رغم هذا الحرمان لم تعرف طعم السكينة في المنزل فوالدتها لا تطلب منها شيء دون أن تصرخ عليها ولا تشجعها على شيء فأصبحت تهاب التحدث مع والدتها في أي أمر كان رغم إنها طفلة . ووالدها المغلوب على أمره غالباً ما يكون يعمل بين الحقول من أجل توفير لقمة عيش كريمة يباشر عمله من الصباح إلى المساء دون أن يرهقه العمل وعندما يعود للمنزل يكون الظلام قد حل أو الشمس على مشارف الغروب .. يكون كالجسد بلا روح من شدة التعب فيصلي فريضته ويتناول وجبته ويأوى إلى فراشه يداعبه صغاره للحظات ثم يغرق في سبات عميق تحسبه في غيبوبة لا يحرك ساكناً لايشعر بمن حوله فإرهاق العمل يحتاج للتعويض

ولا يجد وقت سوى الفترة الليلية وهكذا هي حياة المزارع المسكين فيصحو باكراً على نفس المنوال لم يجد الوقت الكافي للتطرق لإبنته التي الحديث معها شبه مُنقطع لا يتحدث إليها إلا إذا طلب منها فعل شي وإذ هي تفعله دون أن تتحدث جل حديثها حاضر أبي سأفعله، كل يوم تنام عرفة على أمل أن تصبح وتجد متسع من الوقت للحديث مع والدها لتخبره بالذي يحزنها وينتقصها وحينما تصبح تجد إن والدها ليس بالمنزل فهو يصلي الفجر حاضراً ثم ينطلق إلى الحقول أصبح هو كالخفاش لا تراه إلا ليلاً، فتصبح على صراخ والدتها الذي يضج بالمكان بصوتها الذي تكاد كل القرية تسمعه " يا حيوانة إنتي قومي تقوم قيامتك " فتجد أمامها مجموعة من الأواني المنزلية بإنتظارها لغسلها ما ان تقوم بغسلها تجد والدتها قد وضعت كومة أخرى من الملابس المتسخة، أم بلا مشاعر كأنها لم تكن طفلة من قبل كما تقول الكاتبة الجزائرية مجهولة الهوية في رواية "إكتشاف الشهوة " بعض الأمهات حرام عليهن كلمة أم " في ذات يوم هطلت أمطار غزيرة في القرية أغرقت كل الحقول لم يكون بمقدور موسى ممارسة العمل عاد إلى المنزل كغير عادته، دخل المنزل وهو ينادي

بزوجته فلم يجيبه أحد وبحث عنها في أرجاء المنزل ولم يجدها فنادى إبنته وإذا بثواني تأتي مهرولة من قبالة المطبخ كانت تعد الطعام إلتفت فوجدها منتصبة أمامه كجذع النخل .. فسألها أين والدتك؟ تجيبه: لا أدري خرجت ولم تخبرنا كالعادة ولكن أظنها في منزل خالتي سعاد فهي غالباً ما تذهب إليها ..والدها: حسنا فلتحضري لي بعض الماء قدمت له الماء وجلست بمقربة منه تمعن وتدقق فيه النظر "كالسجين الذي ينظر للأشخاص الأحرار عبر قضبان سجنه" حائرة تجوبها الأسئلة يميناً ويساراً؟ اهو مثل أُمي سيوبخني إن أخبرته ام أنه غير ذلك وأثناء تفكيرها إلتفت إليها والدها وباغتها بسؤال ما بك ياعرفة؟ لما تحدقين بي هكذا اهناك خطب ما؟ فإرتعبت من سؤاله غير المتوقع وكان ردها لاشيء وأرادت الإنصراف إلا إن والدها طلب منها البقاء وأحس إن هناك شيء تريد أن تخبره به ولكنها خائفة منه بعض الشيء فيكرر لها السؤال ما بك؟ فنظرت إليه مطولاً وكأن القط قد أكل لسانها! إستجمعت قواها وأخبرته إنها تريد أن تتعلم وتصبح مثل صديقاتها إنتصار وعواطف اللواتي أصبح كل حديثهن عن المدرسة والدورس فإنها تريد أن تكون مثلهن . الأب

لم يتوقع مثل هذا السؤال لم يستطيع الرد عليها .. وظل صامت لبرهة من الزمن وكأن عجلة الزمان قد توقفت به والأسئلة تتهاكم على عقله كيف لم يخطر لي مثل هذا الأمر من قبل؟ إنها مشغوليات الحياة وتنقلاتي بين الحقول وأماكن الحصاد؟ ام أنه الفقر وضائقاته أنساني واجباتي تجاه أُسرتي وأبنائي؟ الأن عمرها قد تعدى سن دخول المدرسة؟ إني لم أحظى بالتعليم من قبل ولكن أبنائي سيدرسون وسيكون لهم مستقبل أفضل . وهو ينظر في أعين عرفة يرى إرادتها التي تفوق عمرها فقال لها حسناً ستدرسين وستكونين أفضل منهن جمعياً أعدك بذلك وأثناء حديثها مع والدها دخلت زوجة موسى وهي تحمل إناء به بعض التوابل سألها اين كانت فتجيبه: كنت عند الجيران نعد متطلبات شهر رمضان ألا تدري إنها فترة " عواسة الأبري " فقال لها كيف لكِ أن تخرجي وتتركي صِغارك لوحدهم تجيبه زوجته : عرفة لم تعد طفلة بعد الأن فهي تعلم كل شيء ويمكنها خدمة أخوانها ثم إني خرجت لأمر عاجل فنسوة الحي كن بإنتظاري .. موسى : حسناً .. أريد أن أستشيرك بشأن يخص إبنتنا لقد قررت أن أدخلها المدرسة فكانت ردة فعل الزوجة صادمة "عرفة لا تصلح

لشيء لافائدة من دراستها" دعها تتعلم الطبخ والإعتناء بالمنزل ألا تدري عادات أهل القرية إن الفتاة التي لا تجيد الطبخ والخدمة المنزلية ..غير مرغوب بها للزواج ..فهي للأن لا تعرف الطبخ جيداً ومن ثم إن التعليم لا فائدة منه فأنظر أين الذين تعلموا من أهل القرية لا يعشيون مع أهلهم كل متعلم يرى إن القرية التي نشأ وترعرع بها لا تليق به وبمستواه التعليمي ألا تذكر ابن العمدة السابق الذي أحرج والده أمام الملأ عندما رفض البقاء بالقرية ومساعدة والده في الزراعة وذهب إلى الخرطوم.. موسى: لا يهمني فالبشر كالاصابع يختلفون كإختلاف الإبهام عن السبابة أريد لإبنتي أن تدرس فقط ودعكِ من تعليقاتك وحديثك عن الأخرين، أنا وانت لم نحظى بالتعليم لماذا نعاقب طفلتنا بشيء لم يكن بإرادتنا لو كنا متعلمين لكان حالنا أفضل من الحال الذي نحن عليه الأن . وقال لطفلته غداً سنذهب للمدرسة وستكونين ضمن التلاميذ،عرفة لم تستطع إخفاء فرحتها فملامحها الطفولية تقول كل شيء لوالدها وتعبر عن فرحتها والأب ينظر لطفلته وهو يذهب بمخيلته بعيداً يرى إن إحدى نساءالقرية تطرق باب منزله وتطلب من إبنته قراءة الجواب

الذي بعثه لها إبنها وكذلك يرى الحاجة سكينة وهي بإنتظار قدوم عرفة من المدرسة لكي تقرأ لها الرسالة التي بعثتها إبنتها التي تزوجت وأصبحت تعيش مع زوجها بمدينة بابنوسة منذ سنين طويلة لم تزورها ولكن تبعث لها بالرسائل بإستمرار، وكيف أن إبنتهُ ذات شأن في القرية لأن سكان القرية لا يحبذون المدراس ويعتبرونها لا فائدة منها سوى تعليم أبناؤهم الكسل والتمرد ضدهم. في الصباح الباكر إستيقظ الأب باكراً إذ يجد طفلته قد إستيقظت قبله وفي إنتظاره ما ان رأوا شفق شروق الشمس كانوا حضوراً أمام أسوار مدرسة القرية التي بنيانها من القش وصغيرة الحجم والمساحة وفصولها بدائية مبنية من الطين ومسقوفة بالقصب، إنتظرا حتى قدوم المدير فقابله موسى وأخبره بشأن طفلته إلا إن المدير فأجاءه برد لم يتوقعه قط !! "نحن الأن في منتصف العام الدراسي إبنتك لاتستطيع الإلتحاق بالدفعة ولكن يمكنك تسجيلها مطلع السنة الدراسية القادمة " ما إن سمعت عرفة بحديث المدير أُجهشت بالبكاء وظنت إن المدير يكذب عليهما لا أكثر،خيبة الأمل الأكبر كانت تتجسد في ملامح والدها الذي أمسك بمعصم صغيرته وخطوات

الخذلان والإنكسار تقوده بإتجاه مخرج المدرسة وهو في صمت تام وكذلك صغيرتهُ كأنهما غريبان لا يعرفان بعضهما وأثناء مرورهم بسوق القرية وهم متجهين صوب المنزل إذا بصوت ينادي موسى .. موسى !! إلتفت ليجد المنادي هو صديقه حميدان،ألقى عليه التحية وتحدث معه بشأن يخص محصول الفول السوداني لهذا العام وتخوف العمدة من كثرة الأمطار التي تتلف المحاصيل لاحظ حميدان إن صديقه موسى حزين بعض الشيء من خلال ملامحه العابسة إذ سابقاً عندما كانا يعملان سوياً في مزارع العمدة دائماً ما يراه متفائل وهما يعملان؟ فيسأل صديقه "إن شاء الله خير مالك متغير كدا اليوم" ؟ "بتك مريضة ولا شنو" ؟ موسى: لا.. لا لقد ذهبت للمدرسة لكي أسجلها ضمن تلاميذ القرية إلا إن المدير أخبرني إن العام الحالي على مشارف الإنتهاء؟ حميدان : ألا تعلم يا صديقي إن زوجتي تعمل مُعلمة بالمدرسة سأخبرها بالأمر وإن شاء الله سنجد حلاً لمشكلة طفلتك؟ عرفة لا تعرف من هو الرجل إلا إن نظرتها المتواصلة لم تنزاح عن هذا الغريب ولو لثانية وظلت تركز وتصغي لحديثة بكل حواسها، وصلا المنزل بعد يوم ثقيل عليهم،

ليجد زوجته تجلس وهي تحمل صغيرها ؟ " أها الحصل شنو في المدرسة" أخبرها بالأمر لم تبديء إهتمامها بالأمر فلديها أمر يشغلها أكثر من موسى و إبنته إنه قد حان وقت القهوة تريد الذهاب لصديقتها وممارسة مهنتها المفضلة النميمة والسخرية من نساء القرية وأيضاً لا تريد لطفلتها أن تدرس لتحرم من متعة مزاولة هوايتها وتكون سجينة المطبخ وأطفالها، بعد أيام عصيبةعاشتها الطفلة من اليأس والحزن إذا بالباب يطرق ذهبت لترى من الطارق فوالدتها كالعادة غير موجودة وجدت الطارق ذلك الرجل الذي تحدث مع والدها وأخبره بأن زوجته تعمل معلمة !! سألها عن والدها إن كان موجود بالمنزل؟ أخبرته انه ليس موجود بالمنزل.. طلب منها أن تخبره عندما يأتي أنه بإنتظاره في منزله ..أحست إن سبب قدوم هذا الرجل هو بشأن دخولها المدرسة؟ ظلت تنتظر والدها بين الفينة والأخرى تذهب إلى بوابة المنزل لترى إذا كان والدها قادم إلى المنزل إلى أن أخيراً رأته وهو قادم نحو المنزل فلم تقاوم فرحتها فتقابله بمنتصف الطريق وهي مهرولة لتخبره بأمر الرجل أولاً ثم تساعده في حمل بعض الأكياس التي كان يحملها و قبل أن يصل والدها للمنزل تقترح

عليه الذهاب لمنزل صديقه فإنه بإنتظاره فرحتها تنسيها كم التعب والإرهاق الذي على والدها ليتجها معاً صوب منزل صديق والدها فوجداه وبرفقته زوجته في إنتظارهم رحبا بهم وإرتشفوا بعض القهوة إلا عرفة لأنها تعتبر صغيرة من عادات وتقاليد أهل القرية إن للقهوة والشاي لها سن محددة تناقشوا عن موضوع دراسة الطفلة فزوجة حميدان التي تعمل معلمة عقليتها متفتحة دائماً ما تحبذ التعليم وتراه السبيل الوحيد للخروج من ظلم وجهل أهل القرية الذي يمارسونه في بعض عاداتهم وتقاليدهم ويروا إن مصلحة الرجل أن يسلك الإبن طريق والده في العمل والبنت خلقت لتتزوج وتكون أسرة فقط لا طموح لها أكثر من ذلك فأهل القرية ينظرون للمعلمة من زاوية مخالفة تماماً نسبة لنشأتها في المدن وإختلاطها مع مجتمع التمدن الذي بمثابة عدواً لهم ولعقائدهم وعاداتهم فدائماً ما يطلقون عليها " بت البندر " وبعضهم يظنها متعجرفة بسبب سعيها الدائم للتمسك بقراراتها حول بعض العادات السلبية ورفضها لها وتقديم حلول أفضل، ظناً منهم إنها تريد إفساد قوانينهم والإطاحة بها فأصبحت شبه منبوذة، المعلمة لموسى: كنت اعتقد إن طفلتك في السابعة أو

الثامنة من عمرها ولكن لا بأس ليس هناك كبير على العلم غداً سأخبر المدير وسوف أقُنعه بقدر الإمكان بقبولها في المدرسة وبأني سوف اهتم بها وأعوضها عن ما سبقها من دروس وإن كان ذلك خارج المدرسة وعلى حساب وقتي الخاص وأيضاً هناك سبب آخر سيجعل المدير يوافق بدخولها لأن تلاميذ القرية كل عام في تناقص أهل القرية يرفضون دراسة ابناؤهم ويحبذون مساعدتهم لهم في الزراعة والأعمال المنزلية وفي ذلك منفعة لهم ولأبناؤهم أفضل من الدراسة التي تجعل أبناؤهم يتفوهون بكلمات ولهجات غريبة، طمأنته بأن لا يقلق وإنها سوف تهتم بموضوع إبنته وستفعل كل ما بوسعها من إجل دراسة الطفلة، في الصباح الباكر تحضر عرفة إلى المدرسة قبل قدوم التلاميذ والمعلمون، حضرت المعلمة وتحدثت مع المدير بأن تلاميذ هذا العام أقل من العدد المطلوب وألحت عليه حتى رضخ إليها وسمح للطفلة أن تنضم إلى صف المعلمة ،ايضاً راهنته على إنها قادرة على تعوبضيها عن ما فاتها، المعلمة تخرج من مكتب المدير وكأنها إنتصرت في حرب دامت عقود من الزمن لإنها غالبا ما تُقابل بالرفض في كل قراراتها من أهالي القرية تيأس أحياناً ولكن لا

تستسلم، تصطحب عرفة إلى المكتب لتقدم لها بعض الكراسات التي تجلبها منظمة اليونيسيف كدعم للتعليم في القرى والأقاليم كمساعدات إنسانية وتعطيها أيضاً بعض الأقلام وأخبرتها أن تتوجة الى ذلك الفصل الذي أشارت إليه وإنها في غضون دقائق ستكون بالفصل، دخلت الفصل التلاميذ يعتقدون بأنها من تلاميذ الصف الرابع أو الخامس نسبة لعمرها وحجمها اللذان لا يشيران بأنها من الصف الأول دخلت المعلمة للفصل وطلبت منها أن تجلس بمؤخرة الفصل لانها طويلة بعض الشيء وستحجب بعض التلاميذ من الرؤية .. بنت الإحدى عشر ربيعاً ينصب كل تركيزها على ما تقوله المعلمة، تمر الأيام لتصبح مدمنة على كتبها فتجدها في المنزل في الشارع في الفصل تراجع دروسها حتى أثناء غسيلها للاواني وجدت طريقتها الخاصة لحفظ الحروف الأبجدية فترتبهم حسب ترتيب الحروف لتساعد نفسها في عملية الحفظ وظلت تذهب للمعلمة في منزلها لتعيد لها بعض الدورس التي لم يسبق لها دراستها، تميزت بين التلاميذ فأصبحت من أكثر التلاميذ إجتهاداً ومثال يحتذى به ودائماً ما تفتخر بها المعلمة في سنتها الأُولى كانت من ضِمن العشرة الأوائل وفي عامها

الثاني كانت الأُولى بين قريناتها يتفاخر بها والدها في القرية السنين تمر كالبرق وهي تتقدمهن بعد مرور ثلاثة أعوام رجال القرية يجتمعون أمام منزل موسى و يخبروا زوجته إنهم عثروا على جثة زوجها في إحدى مزارع العمدة قتل بواسطة جماعة من قرية تجاورهم بسبب خلافات يمتد أصلها لعشرات السنين حول الأراضي الزراعية والمرعى قتل غدراً وهو أعزل الأمر الذي أدخل زوجة موسى في نوبة من الصياح و النواح فهي الآن ليس لديها من يعيلها بعد ذلك أحست بقيمة زوجها بعد أن فقدته .عرفة كأن أبواب الدنيا قد أغلقت أمامها سندها وتاج رأسها قد ذهب بلا عودة بين ليلة وضحاها لا تملك سوى دموعاً من الحزن والحسرة ظلت تبكي لأيام، فنعمة الأب لاتُضايها نعمة، باب الأمان والطمأنينة يُغلق ولا تدري ماذا تفعل بعد وفاة والدها الذي كان يعني لها كل شيء في حياتها ولكن انها سنة الحياة تأخُذ من تريد حيثما تريد، يومياً هناك من يغادرون الدنيا دون أن يودعوا أعز أصدقائهم وأهلهم وهناك قادمون لا يدرون ماذا تخبيء لهم الحياة .

****

المقبرة الزوجية

مرت ثلاثة سنوات على وفاة موسى مرت على الأسرة أيام أليمة وقاسية الساعة فيها كالشهر والشهر كالسنة و الأسرة دون معيل إمراة أرملة وإبنتها تبلغ من العمر سبعة عشر عام و في قريه يسودها الجهل لا ينظرون للمرأة الأرملة والمطلقة سوى إنها كائن للمُتعة والعِلاقات المُحرمة، طفلة الأمس تصبح في سن الزواج حسب عرف وتقاليد أهل القرية. فتقدم لوالدتها شاب من القرية أسرته ذات جاه وسلطة، يدعى محمود بطلب عرفة للزواج، الأمر الذي كان للأم بمثابة إنقاذ من غرق وشيك في ظل كثرة الحديث عنها وإبنتها بالسوء الأمر الذي جعلها حديث أهل القرية ، فصديقات الأمس الذين كانوا عندما يحتسوا القهوة معاً ويتحدثوا عن الاخرين الآن أصبحت محط السخرية والحديث لديهم . مثل هذه الزيجة لا يمكن أن ترفض مهما كلف الأمر فوافقت الأم على الزواج دون علم إبنتها أو حتى وضع فرصة لتبديء عن رأيها بالأمر،الخبر الذي صدم عرفة وأدخلها في غيبوبة دامت لساعات، باباً آخر يغلق أمامها "الزواج يعني نهاية حلم الدراسة" قابلت والدتها بالرفض الأمر الذي أغضبها فصفعتها حتى تورم خدها وقالت لها "انا اديت كلمتي وما بتراجع

ما عايزة سفاهة وقلة أدب حقت بنات ..البنات القدرك هسه بأولادهم مافي قراية ليك تاني "حسم الأمر من جانب والدتها وحدد الزواج بعد شهر بدأ العد التنازلي وعرفة لا تدري ماذا تفعل حاولت الإنتحار عدة مرات إلا انها تتذكر قول معلمتها ((إن الحياة ليست لنا خلقنا الله من أجل هدف محدد ولكل إنسان هدف مهما ضاقت به سُبل الحياة ففرج قريب و الدنيا إمتحان كبير يا بناتي)) فتتراجع لتقرر الهروب من القرية ولكن إلى أين تذهب فهي لا تعلم مكان غير القرية تذهب إليه لتستسلم للواقع، موعد الزواج قد إقترب وهي للأن لا تعرف من هو زوجها ولا تعرف عنه شيء ولا أنتم إلى الأن تعرفونه !! محمود إبن الأسرة الغنية والمشهورة ما هو إلا عربيد وسكير تعرفه جميع القرى المجاورة من كثرة شجاراته معهم إلا إنه في القرية يتقمص شخصية الملاك السامي، العد التنازلي تسرع ثوانيه وموعد الزواج يقترب أكثر فأكثر ها هو اليوم المشؤوم قد حل أخيراً لتدخل عرفة طريقاً لا تعلم له نهاية ولا محطات توقف ولا حتى إلى أين يقودها في يوم جمعة ليس كبقية الجمعات إجتمعت القرية بكبارها وصغارها في ساحة الإحتفالات بمنتصف القرية

للمشاركة في مراسم الزواج ، العزف على الطبول والغناء يستمر لثلاثة أيام متواصلة، تم الزواج وها هي تسلم لزوجها يمر الشهر الأول وهما كالغرباء وفي الشهر الثاني تتحسن العلاقة بينهما يتحدثان يمزحان يخرجان مع بعضهما علاقتهما في تحسن ملحوظ إلا إنها تلاحظ بعض الغرابة في تصرفات محمود، يخرج ليلاً ويعود صباحاً أحياناً وعندما تسأله أين كان لا يجيبها لا تكثر معه الحديث ولا تريد التصادم معه ففي القرى لا يحق على الزوجة أن تسأل زوجها أين يذهب ومتى يعود وماذا يفعل، إلا انه في الحقيقة كان يذهب للقرى المجاورة لممارسة هوايته المحببة إلى نفسه "السكر والعربدة"، في مرة خرج لعدة أيام ولم يعد وعرفة لاتعرف عنه شيء ولا تعرف من تسأل ذهبت لمنزل والدتها لتخبرها بالأمر،في صبيحة اليوم الرابع يتضح أن زوج عرفة دخل في شجار مع بعض الشبان في القرية المجاروة بعد تناولهم الخمر هو ورفاقه فخرجوا عن طورهم فتقاتلوا وطُعن محمود في صدره وترك بمنتصف الطريق وهو غرق في دمائه بالقرب من مزرعة من مزارع القرية الأمر الذي أغضب أهل القرية وأُعتبر بمثابة تحدي لهم نسبة لخلاف أزلي معهم في المرعى الذي راح ضحيته والد

عرفة ها هو كاد أن يقتل زوجها بنفس السبب إلا إن العناية الإلهية أنقذته وبعثت له بأحد المارة عثر عليه بمنتصف الطريق لولا ذلك لكان الأن في عداد الموتى دخلت أسرة محمود في قتالات عدة بين كر وفر مع القرية المجاورة راح ضحيتها أخيه وأبيه ولا أحد يعلم بحقيقة طعن موسى فكان سبب في دمار أسرته. إستمرت الخلافات بين محمود و القرى المجاورة يعتدي كل منهم على الآخر بين الحين والآخر في المزارع في السفر في كل مكان ..بعد وفاة والد محمود تولى مسؤوليات والده الأمر الذي لم يفلح في توليه بسبب إهتمامه بشؤونه مع القرية المجاورة للأخذ بتار أخيه وأبيه ولكنه لم يفلح كذلك عندها أيقن إن البقاء بالقرية أصبح شِبه مستحيل بعد الهزائم والخسائر التي يتلقاها فقرر الرحيل، أخبر عرفة بأنهم سيغادرون سوياً من القرية متجهين إلى الخرطوم وسيكون ذلك غداً في الصباح الباكر الأمر الذي أحزن عرفة كيف ستفارق القرية التي نشأت بازقتها الضيقة التي تحمل كل ماضيها بأحزانه وأفراحه وكيف لها ان تتعايش مع مجتمع لم تسمع به إلا في الحكاوي حيث لا يوجد لا أخ ولا أم ولا حتى أقارب ها هي الحياة ترسم لعرفة مصيراً جديداً، ذهبت وودعت والدتها

وأخوانها وصديقاتها بالدراسة سابقاً ولم تنسى أن تودع معلمتها وهي تزرف دموع الحزن وكأنها تقول ماذا فعلت لتعاقبني هكذا ايها القدر؟ الم يكفيك أنك أخذت مني حلمي في التعليم ووالدي ها أنت الأن تأتيني بثوب جديد لتأخذ مني قريتي وأمي وأخواني، في الصباح حضر محمود وبرفقته أحد أصدقاءه في تمام الساعة الثامنة ودعت أسرتها وقريتها وكأنه الوداع الأخير لتتحرك بهم العربة وهي تترك كل تفاصيل حياتها خلفها تنظر كم هي القرية جميلة من الخارج فهي لأول مرة تغادرها تنظر في قريتها حتى إختفت تماماً خلف أشجار الغابة الكثيفة وأثناء رحلتهما كان الصمت والحزن هو عنوان الرحلة تائهين لا يعرفون ماذا تخبيء لهم الأيام ولا كيف سيكون حالهم في عالم أخر يسمى" بكرش الفيل" عالم لا يرحم فيه الضعيف عالم عبارة عن مجموعة من الناس تراهم ولكن لا تعرف إلى أين يذهبون او ماذا يفعلون، وصلوا أخيراً بعد رحلة دامت يومين من العناء والتعب والإرهاق حلو بإستضافة أحد أصدقاء محمود يسكن بأحد أحياء العاصمة العشوائية حي لايختلف عن القرية كثيراً سوى انه تكثر به الجرائم ليمكثوا مع هذا الشخص لعدة أيام، الفترة التي كان

يبحث فيها محمود عن عمل بعد جهد وعناء تحصل على وظيفة بأحد الأحياء الوسطية ها هي الحياة تبتسم لهم مرة أخرى ولا يدرون متى تكشر عن أنيابها، أوضاعهم تسير في الطريق الصحيح إستأجروا منزل بحي لا يروا فيه الناس إلا وهم خارجون للعمل أو قادمون منه بعد إنتهاء دوامهم لا أحد يعلم بحال أحد أو يكترث لأحد مسرعون دوماً في كل أمور حياتهم كأن العالم على مشارف النهاية تراهم في المواصلات والأسواق هرعون كأن اليوم أخر يوم لممارسة الحياة اليومية ما أن يحل الليل تجد الأسواق فارغة تماماً كالقرية الخاوية. عرفة ظلت أسيرة جدران المنزل يخرج زوجها صباحاً ويأتي مساءاً لا يوجد من يؤانسها أو يتحدث إليها رغم إنها لا تحب الحديث الى زوجها كثيرا إلا إنها في الفترة الأخيرة تغيرت بعض الشيء فوحدة المنزل جعلتها تتفقد زوجها عندما يعود للمنزل تكثر معه الحديث لتعرف تفاصيل يومه.. ولكن تخبئ لها الأيام مرة أخرى ما لا يسعدها بعد مرور شهور عدة زوجها ينجرف لنفس التيار القديم كما يقول المثل الشهير "إن المياه لا تنسى مجاريها " ها هو يعاود عادته القديمة السكر والعربدة بالإضافة "للبنقو" والإتجار به وأصبح يتعاطى كافة

أنواع المخدرات ففي المدن الكبيرة دائماً من يكونون ضحايا المخدرات هم الفقراء والأسباب ترجع للظروف المادية والنفسية الصعبة التي يعيشونها كما ان هناك كتلة كبيرة من الشباب تتناول المخدرات لتخرج من عالمها المأساوي والدخول في عالم خيالي أكثر سعادة، محمود اصبح صعب المزاج لا يتحدث كثيراً ويفتعل المشاكل دون سبب وأحياناً ينام خارج المنزل يعود في اليوم الذي يليه إزداد سوءاً حتى أصبح يتطاول على زوجته بالضرب حين تسأله أين كان بالأمس أصبحت زوجته تهابه أحياناً عندما يعود إلى المنزل وهو ثمل تخاف على نفسها فتغلق باب غرفتها عليها حتى يستعيد وعيه وأحياناً يظل يضرب الباب يكاد أن يكسره وأصبح ينظر إليها من ناحية جنسية فقط ويعتبرها كائن للمتعة متى ما أراد إشباع رغبته الجنسية يأتي إليها هناك حقيقة عزيزي القارئ يجب أن تعلمها نحن كمجتمع في افريقيا والوطن العربي إن نظرتنا للمرأة دونية لا نراها سوى إنها بوق لتفريغ شهوتنا دون المراعاة لحالتها الصحية او الموانع الشرعية فالمرأة لدينا لا تستطيع الإبداء عن رغبتها لزوجها بدعوته لممارسة الجنس أو الرفض،متى ما تتملكنا الرغبة فإننا نعاشرهن

وإذا طلبت الزوجة زوجها لممارسة حقها الشرعي تعتبر عاهرة "شرموطة" في حين إن الحياة الزوجية تستمد قدسيتها من التفاهم بين الزوجين فكم من إمرأة لا ترغب في جماع زوجها لظروفها الخاصة ولكن لا تستطيع رفض طلبه .

خرج محمود في أخر مرة لمدة دامت ثلاثة أيام دون أن تعرف الزوجة أين هو زوجها، دون أن يترك لها مال للطعام او المستلزمات المنزلية الأخرى عرفة لا تعرف أحد بالحي تلجأ إليه لطلب المساعدة عند اليوم الرابع ضاق بها الأمر فخرجت إلى الشارع وهي تبكي لطلب المساعدة فصعب على إمرأة تعيش لحالها دون مأكل و مشرب أو حتى شخص بقربها جلست بإحدى المظلات بمقربة من الطريق العام وهي غارقة في دموعها أملاً في أن يأتي شخص يخفف عنها ويدلها على مكان زوجها أو يخبرها عنه شيء فتوقف عندها أحد المارة ذو القلوب الرحيمة، رأها تبكي بحرقة ولا يوجد شخص بقربها في بادئ الأمر خيل له إنها قد تكون تعرضت للسرقة أو ما شابه لأن مثل هذه الأمور شائعة بالعاصمة، فيسألها ما بك يا أخت؟ فتجيبه عن أمر زوجها المختفي وهي غريبة بالمنطقة ولا تعرف أحد هنا فأرشدها أن

تذهب لقسم الشرطة للتبليغ عن غياب زوجها فكانت الصدمة الكبرى عندما دخلت قسم الشرطة ، سلطان الحياة يقف ضدها مرة أخرى وجدت زوجها بالسجن أخبرها الضابط المسؤول إن زوجها قد قبض عليه ومعه جماعة أخرى بمنزل مهجور بالحي العشوائي المجاور للحي الذي يسكنون به وهم يقومون بتوزيع كمية كبيرة من المخدرات "البنقو" لغرض التجارة وانه الآن محتجز بإنتظار الحكم .. خيل لها إنه سيتم الإفراج عنه قريباً لتسأل الضابط سؤال عفوي متى سيخرج زوجي من السجن فأجابها وهو يضحك على سؤالها الطفولي ؟ إن زوجك يا سيدتي سيسجن لفترة لا تقل عن خمسة أعوام نسبة للكمية التي ضبط بها بعد خمسة أيام صدر الحكم وهي تجلس بين الحضور لاتفقه في لغة القانون شيء ولكن تدعي بكل حواسها أن يفرج عن زوجها بأقرب وقت ممكن ولكن نطق الحكم عليه بالسجن لمدة عشرون عاماً نسبة لسلوكه السيء الذي مارسه مع السجناء وتعديه بالضرب على أحد الجنود عندما كان يقدم له الطعام بالإضافة لتفوهه بكلمات سيئة عن الجهاز القضائي والقاضي .. إبن القرية يعتقد إنه بالقرية حيث نفوذ عائلتة الذي دائماً ما يخرجه من

العقبات "كالشعرة من العجين "، لكم ان تتخيلوا حال عرفة بعد فقدان زوجها أصبحت الآن وحيدة لا تملك أحداً لا عن قريب أو بعيد وهي لاتفقه في المدينة شيء كان زوجها رغم سوءه إلا انه يوفر لها الأمان فهي الأن بلا عمل بلا زوج بلا أم بلا أب ولا اخ او أخت في مدينة كأنها من كوكب أخر ليس بكوكب الأرض وسكانه ليسوا ببشر، عليها أن تواجه صفعات القدر مرة أخرى في تحدي أكبر من ذي قبل جلست إلى نفسها فلم تجد حلاً سوى البحث عن عمل شريف يضمن لها حياة كريمة حتى تعرف طريق العودة لقريتها فهي لا تدري أين تقع قريتها سوى بين جبال شاهقة فهي لم تغادرها من ذي قبل ما عساها أن تفعل بنت قروية غير مثقفة شبه أُمية أصبحت تجول الطرقات والأمكنة بحثاً عن عمل فالكل كان يرفضها لشكلها القروي والبدائي ولكن لم تيأس لأن هذه المرة مستوى التحدى قد إرتفع أصبحت مناضلة من أجل البقاء حتى حصلت على عمل كخادمة في إحدى المنازل الفخمة وقع عليها الإختيار لأنهم كانوا لا يملكون خيار غيرها وإنهم بحاجة ماسة لخادمة ولم يعثروا على غيرها إذا تحصلوا على خيار أفضل لكانت الأن تبحث عن عمل في مكان ما ولكنه

القدر يبتسم مجدداً ولكن وضعوا لها شروط ان تعمل على غسل الملابس بصورة جيدة لانهم ينظرون لملابسها المترهلة والمتسخة ويقيسون على ذلك وأيضاً أن تعمل على تطوير نفسها وتتخلى عن ملابسها القروية لتواكب نمط المنزل ، فقبلت بالشروط ووعدت سيدة المنزل بالعمل الجاد وإثبات جدارتها فقط لتمهلها شهراً واحداً فهي ليست الخادمة الوحيدة بالمنزل فهناك عدة خادمات بالمنزل أدناهم تتحدث الإنجليزية والعربية بطلاقة وذات أسلوب لبق يتماشى مع طبقة الأسرة والعصر الحديث ويجيدون التعامل مع كافة الأجهزة المنزلية الحديثة بالإضافة للطبخ الذي لا تعرف عنه البنت البدوية شيئاً ،تعلم جيداً عزيزي القارئ نحن في عصر أصبحت فيه لغة المظاهر تعتلى على المعرفة اللغة التي على أثرها تحدد قيمة الشخص فكم من أشخاص قبيحوا المنظر ولكن جوهرهم أسمى من أناس يركبون السيارات الفارهة وعقولهم ليس بها سوى الخرافات في زمان أصبحت تقدم فيه المظاهر على الخلق والدين والأمانة، عرفة ظلت تعمل بكل جد وإجتهاد، تأتي من منزلها التي تسكن به لوحدها في السابعة صباحاً لتعود في الحادية عشر مساءاً

لاحظت بنت صاحبة المنزل تدعى مزدلفة إن عرفة عندما يطلب من نظافة الغرف والصالات عندما تعثر على الصحف القديمة لا ترمي بها إلى المزبلة بل تأخذها لتمعن وتدقق فيها النظر بعد إنتهاءها من عملها وفي وقت فراغها، مزدلفة تسألها هل أن انتِ تجيدين القراءة والكتابة فتجيبها "يعني" بمعنى إلى حد ما! مزدلفة : كُنت أظنك لا تجيدين القراءة والكتابة تتحدث معها لبعض الوقت لتخبرها بقصتها مع الدراسة الأمر الذي أحزن مزدلفة فأعجبت بقصتها وتريد أن تكتشف أمور أكثر عنها إذ ان الاغنياء دائماً ما تدهشهم الامور البسيطة لأنهم لم يمروا بمعاناة في حياتهم فإنهم أتوا إلى الدنيا وعلى أفواههم ملاعق من الذهب، فأصبحت تتحدث إلى عرفة كثيراً بمرور الأيام وفي كل يوم تعرف عنها شيئاً جديداً كأن عرفة كتاب شيق تقراءه كل يوم لتكتشف روعته أكثر كما إنها تحب المجتمع الريفي لكي تتعرف على بساطتهم فهي تسمع عن القريون في القصص والأن أصبحت معها إحدى القرويات بالمنزل بمرور الوقت تعرفت على قصة عرفة كاملة بكل تفاصيلها ولحظاتها السعيدة والمريرة التي لقنتها لها الحياة فأصبحتا صديقتان فتدعو عرفة لغرفتها للحديث

معها، ليـأتي أخِـر يوم للإختبار لتخبر صاحبة المنـزل البنت القروية إنها قد أعجبت بعملها وإجتهادها الدائم في تطوير ذاتها وانها سريعة التأقلم وكما إن مزدلفة أخبرت والدتها بقصة الفتاة وقسـاوة الحيـاة التي مرت بها، فتـقول صاحبة المنزل إنه تم إعتمادها لتعمل بشكل دائم معهم بالمنزل كادت عرفة أن تطير من الفرحة وأخبرتها أيضاً سوف تعطيها غرفة للسكن معهم في المنزل لأنه شاق على فتاة تعمل من الصباح لوقت متأخر من الليل أن تذهب لوحدها لتنام في منزل لحالها وليس معها أحد "لسان حال المجتمع لايرحم النساء "فزوجها ليس معها فيكثر عنها الحديث وتسوء عنها الظنون " مجتمع يظن أن كل إمراة تأتي ليلاً ما هي إلا مومس دون وضع أعذار لسبب خروجها "، الحياة تبتسم مرة أخرى ولكن عرفة يتملكها إحساس بأنها ستصاب بخيبة أمل أخرى فكم من سعادة عاشتها وكان بعدها هناك كوب أخر من الحنظل تتجرع منه طعم و مرارة الحزن والألم ودرس قاسي تتعلمه من الحياة، ها هي الأن تسكن مع الأسرة الغنية في غرفة مجهزة لها لم تحلم بها من ذي قبل ولم يخطر على مخيلتها بأنها سوف تسكن في مثل هذا المنزل من قبل ، تمر الأيام عرفة

ومزدلفة تصبحان كالأخوات تتسلل مزدلفة لغرفة عرفة ليلاً للحديث مع صديقتها الجديدة تأكلان سوياً تلبسان سوياً تتسوقان سوياً تخرجان للتنزه معاً في يوماً إستيقظت مزدلفة متأخرة ولم تجد عرفة كعادتها تعمل في التنظيف والترتيب ذهبت لغرفتها وجدتها مستلقية على فراشها لا تستطيع النهوض و الإستفراغ لا ينقطع عنها ولديها آلام في الظهر وأسفل البطن ولاترغب في الأكل أو الشرب ظنت بإنها مريضة بمرض ما فأخذتها للطبيب ليتبين لهم إن حالتها ما هي إلا تباشير خبر سعيد يبشرهما بأن عرفة حامل وهي في شهرها الثاني وكل تلك الأعراض ما هي إلا علامات للحمل وإنه أمر طبيعي ولفترة محددة وسوف ينتهي، الأم المستقبلية كأدت أن تسقط من الفراش بسبب فرحتها وهي تحاول إحتضان رفيقتها ، ومزدلفة تبادلها نفس الشعور وكأن الطفل طفلها، هذا الخبر أحدث تغييراً كلياً في حياة عرفة الحزن أصبح لا يشتق له طريقاً للوصول لمنزله القديم الكامن بداخل الفتاة القروية، فتبدلت كل أحزانها أفراحاً بعد معرفتها بقدوم طفل سيكون لها سراجاً مضيئاً في حياتها أصبح أمر الصديقتين الشاغل هو الحديث عن هذا القادم

تجدهما معظم الوقت تقرأن مجلات الأطفال وكذلك كل الكتب والصحف التي تتعلق بالأطفال ويتحدثان عن المولود وكأنه متواجد بينهم وهما تتبادلان الإهتمام به، مزدلفة تحدث صديقتها ستصبحين أماً وأنا أيضاً أماً لانه سيكون إبني كما هو إبنك وأقترحت على صديقتها إذا أتى ولداً أنها التي ستختار له إسماً وستكون كل رعايته ومتطلباته ونفقاته على كفالتها واذا المولود القادم بنت فلوالدتها الحقيقية الحق أن تسميها لآن مزدلفة لم تحظى بأخ أو أي مولود ذكر يشاركها حياتها من قبل هي البنت الوحيدة لوالدتها ليس لها اخاً أو أخت، إتفقتا على ذلك وعرفة تسرح بخيالها وترى انها قد أنجبت ولد وهي تبادله كل الحنان الذي لم تحظى به إلا للحظات قليلة وسلبه القدر منها تراه وهو قد بدأ يتعلم المشي تارة وتارة أخرى تراه قد وصل سن الدراسة وهو يدرس بافضل المدراس ولا ينتقصه شيء وفي أثناء شرودها خرجت صديقتها وعادت إليها وهي تحمل صندوق هدايا تزينه شرائط زاهية اللون لتفتح الصندوق لتجد بداخله كافة مستلزمات المولود خانها التعبير عن الإمتنان لصديقتها واختلطت عليها المشاعر لتزرف دموع الفرحة فكيف لشخص

غريب أن يفعل معها كل ذلك صديقتها تبادلها الشعور بالبكاء ، في ذلك اليوم الغرفة لم يسعها أن تحمل كل هذه الأفراح ظلتا الصديقتين كل الليل وهما تهمهمان و تتحدثان عن إبنهما الذي لم يرى ضوء الحياة بعد حتى تغلب عليهما النعاس، في الصباح الباكر عندما كانتا تحتسيان الشاي خطر على بال الأم المستقبلة فكرة أن تذهب للسجن وتخبر زوجها المسجون انها حبلى الأن بطفل منه ربما ذلك يكون دافع له لتحسين سلوكه السيء وأن يكون لديه أمل بعد أن يخرج من السجن إن هناك شخصاً بإنتظار رؤيته، ليخبرها السجان؟ إن زوجها وجد معلق على سقف زنزانته قرر الإنتحار بشنق نفسه وذلك قبل اسبوعين إنتحر لأنه لم يعتاد على السجن ويحتمل سلبه لحريته، إنهارت عرفه ودخلت في نوبة بكاء كادت ان تعمي عيناها من كثرة البكاء،عقرب الحياة تلدغها مجدداً " الحياة كثيراً ما تكون غير عادلة فرحةأمس الهستيرية تتحول لحزن عميق وجرحاً لن يشفى قريباً، تتبادر عليها الأسئلة كيف سيولد طفلها يتيماً ويعيش يتيماً غادرت السجن وهي تجرجر أغلال الخذلان وخيبة الأمل وكأن أحزان الدنيا قد اجتمعت عليها مرة أخرى الأمل الذي

تتمسك به يخذلها وصلت إلى المنزل وهى تكاد لا ترى أمامها وملاح الحزن تعلو وجهها لا ترغب بالحديث مع أحد، لاحظت مزدلفة عبوس صديقتها وكم الحزن التي يحويها لم تترد في سؤالها ماذا حدث في السجن؟ لم يسمحوا لك بالدخول لرؤيته؟ تظل صامته لا تجيبها؟ فتكرر لها الأسئلة طمأنيني ماذا هناك لا أتحمل رؤيتك هكذا فتجيبها: لقد مات محمود مات يا مزدلفة الأمر الذي كان كالصاعقة على صديقتها لتتبدل ملامحها هي الأخرى بلمح البصر من ملامح الحيرة للحزن فور معرفتها بالأمر ساد الصمت بالمنزل لا أحد يحدث الآخر فأستمر الحزن ليومين بلا أكل بلا شرب بلا رغبة في فعل أي شيء الأمر الذي لفت إنتباه صاحبة المنزل إن إبنتها وعرفة كأنهما ميتتان بالحياة أجساد بلا أرواح ليس كعادتهما ولاحظ ذلك كل أفراد الأسرة الحزن الذي يعلو وجهيهما فتبادرهم الأم ماذا هناك يا بنات ؟ فتجيبها مزدلفة إن عرفة أخبرها الطبيب بإنها حامل ولكن عندما ذهبت للسجن لتزف الفرحة لزوجها عن مولودهما القادم أخبرها حارس السجن إن زوجها قد إنتحر قبل إسبوعين، الأمر الذي أحزن صاحبة المنزل وفتح لها باب حزن عميق لم تدوى جراحه بعد فهي أيضاً

مات زوجها وهي حبلى بمزدلفة ولم يترك لهم سوى المال الذي لا يعوض عن حنان الأبوة والزوج وإن إبنتها مزدلفة قد عاشت دون حنان الأب والدمعة في أعينها وهي تقول لـ عرفة : " يابتي كلنا بنمر بلحظات صعبة لكن دي سنة الحياة نعمل شنو الخالق أراد كدا؟"إن زوجك لم يكن بالزوج المثالي ولكنه زوجك من حقك أن تحزني عليه فانه أب لطفلك القادم أنا أعلم جيداً كيف لطفل أن يولد ويترعرع دون أن يرى والده بجواره وكيف هي نظرة المجتمع إليه وكيف ستكون إجابتك عندما يسألك عن والده أعلم كل ذلك جيداً ومدى الحزن الأنتِ عليه الأن .. يا إبنتي ولكن زوجك إختار الإنتحار ولم يذكر حتى بأن له زوجة وأسرة تحتاج إليه فأنا أرى في موته خير له و لك إذا ولد طفلك ووجد والده عبارة عن مجرم ومردود سجون كيف ستكون حالته؟ تحلي بالصبر طفلك سيكون أمانة علينا جميعاً ولن ينقصه شيء وستعيشين معنا في هذا المنزل كما تعلمي لا يوجد أحد غيري وإبنتي مزدلفة بالمنزل فالخادمات يأتين صباحاً ويذهبن ليلاً ، نصيحة والدة مزدلفة خففت عنها بعض الشيء، تمر الأيام والليالي وعجلة الزمن التي لاتتوقف لتنسيها فقدان زوجها

وتشرق شمس جديدة تلوح بأفراح قادمة عرفة الأن في شهرها الخامس وبطنها تبرز لتمنعها صديقتها عن العمل وطلبت من الخادمات الأخريات خدمتها في أي وقت وأي أمر كان، لتطلب مزدلفة من عرفة الذهاب للدكتور لتحديد جنس المولود القادم بنت أم صبي فيذهبا للطبيب ليخبرهما بأنه ولد الأمر الذي أسعد مزدلفة أكثر عن والدة الطفل لأنها إتفقت معها مسبقاً إنها التي سوف تختار له إسمها إذا المولود ذكراً بدأت مراسم الإعداد لإستقبال القادم الفرحة تعم ارجاء المنزل مزدلفة تختار إسماً للملك القادم المبعوث قريباً إسم .. (ياسر) تخليداً لذكرى والدها الذي لم تراه من قبل،الكل بإنتظار الملاك في نار أحر من الجمر .

****

وِلادة السجم

ها هي طفلة القرية التي كان حلمها أن تدرس يأتيها الحلم بحُلة جديدة وهو يرتدي ثوب مولود قادم، في شهرها التاسع تعامل كالملكة لا تفعل شيء حتى الأكل تطعم من قبل صديقتها بل أختها والأم الثانية لطفلها القادم فتقول مزدلفة ممازحة صديقتها : لا تكثري من الحركة أثناء غيابي عن المنزل فأنا لا أخاف عليك بل أخاف لإبني الذي يسكن بأحشاءُك، كل المنزل على هبة على لإستقبال هذا الزائر الجديد والكل يترقب متى ستضع عرفة حملها لا يعرفون يومها بالتحديد ولكن يعلمون لم يتبقى لها سوى القليل قد تكون ساعات او أيام، أثناء جلوس العائلة كالعادة لمشاهدة التلفاز إذا بعرفة تصرخ من شدة الألم إنه ألم المخاط فهرعوا بها إلى مستشفى القابلات لتدخلها القابلة لغرفة العمليات وكل الأسرة تصطف خارجاً في إنتظار خروج القابلة لتزف الخبر السعيد وبالداخل عرفة تصرخ من شدة الألم لم تكن تعلم بمدى قساوة ألم الإنجاب فهي تسمع به ولكنها لم تتوقع أن يصل الألم لهذا المستوى تصرخ حتى يكاد سقف الغرفة يسقط عليها والطاقم الطبي، ها هو إبنها يخرج للحياه وهي فاقدة للوعي تستيقظ لتجد الكل يقف حولها يحدق بها كأنها

ذهبت لعالم الأموات ثم عادت للحياة مرة أخرى بعد دقائق تستحضر إنها بالمستشفى وقد وضعت حملها لتقول لهم " ولدي وين ولدي وين " لتخبرها صديقتها ممازحة لها " ياسر شِلتو أنا وما حتشوفي تاني " يضحك الجميع وهم يقدمون لها باقات الورد والهدايا ويخبرونها إن طفلها بخير وأنه موجود مع الطبيب المختص يجري عليه بعض الفحوصات للتأكد من صحته وسيردونه لها، تدخل القابلة لتسلمها طفلها فتحضنه تكاد أن تخنقه من شدة الضغط عليه فلا أحد يدرى مدى حب أي أم كانت لأطفالها وخاصة عندما يكون المولود هو الأول لها ، في الصباح غادروا المستشفى بعربة الإسعاف والصديقتان يتناوبان على حمل الرضيع لتخبر كل منها الأخرى وتلومها بأنها لا تعلم طريقة حمل الطفل الصحيحة لتقاطعهما والدة مزدلفة " يا بناتي انتو ذاتكم أطفال وعايزين زول يشيلكم " يصلوا المنزل ليجدوا بعض الخادمات قد أعدوا تجهيزات لإستقبال الملاك الجديد وضعوا سجادة حمراء بأطرافها الشموع والورود من مدخل المنزل حتى غرفة عرفة سجاد كأنه سجاد هوليود لتقديم جائزة الأوسكار للنجم الفائز،عرفة لأول مرة في حياتها تعامل

كملكة وهي في مراسم التتويج، اصبح أمر الطفل هو الحديث الوحيد الذي يسود أرجاء المنزل سعيد الحظ وهو في يومه الثاني بالمنزل والهدايا التي أُحضرت له تفوق حجم غرفته التي أعدت له مسبقاً لحين أن يكبُر، مزدلفة ما إن تخرج للتسوق لا تعود إلا وهي محملة بالهدايا والألعاب، في اليوم السابع من ولادته مزدلفة المهوسة بالطفل تستدعى أبرز المُغنين بالعاصمة ليحي حفل تسمية المولود الذي أختير اسمه قبل أن يقدم للدار الفانية منذ شهره الرابع وحروفه تنحت بالخارج وهو داخل كيس لحمي مملؤ بالسوائل، أُقيمت مناسبة ضخمة تواصلت فيها الذبائح لثلاثة أيام دون توقف الأسرة تدعوا كل من في الحي ليشاركهم مراسم التسمية " السماية " السعادة تدوم لشهور بالمنزل في يوم عرفة تركت رضيعها بالغرفة وذهبت للمطبخ لطهو بعض الطعام فهي لا تحبذ طعام الخادمات لتتسلل مزدلفة لغرفتها وتأخذ ياسر دون علم والدته، فهن كثيرات المزاح الأم المسكينة تدخل غرفتها ولا تجد رضيعها تفقد صوابها و يتملكها القلق تصرخ وتطلب النجدة من كل أفراد المنزل للبحث معها عن صغيرها وأثناء بحثهم لاحظت إن صديقتها ليست كعادتها لم تقلق على فقدان الطفل

كما هو معروف عنها فطلبت عرفة من الجميع التوقف عن البحث علمت بأنه مع صديقتها فتقول لها: " يا عواليق خلي هظارك البايخ دا عليك الله قطعتي قلبي ياخ رجعي لي ولدي " فتجيبها الأخرى: " يازولة ولدي وأنا شِلتو إنت ذاتك أم مهملة تخلي ياسر براه كيف " يتشاجران كعادتهما بعوفيتهما المعتادة لايمر يوم دون مزاح، إيقاع الزمن يزيد في وتيرته ها هو ياسر في الرابعة من عمره أربعة أعوام عاشها بين والدته الحقيقية وخالته مزدلفة وهو لا يدري من هي والدته الحقيقية لانهما كانتا تبادلانه نفس الحنان لم تشعرانه بأن هناك فرق بينهما ينام مع والدته وتارة مع أمه الروحية مزدلفة أصبح يحب المزاح واللعب مثلهما في يوماً اثناء لعبه بغرفة مزدلفة عثر على علبة مليئة بالألوان الزاهية ظنها إحدى الحلوى أو الشكولاتة التي إعتادت مزدلفة أن تجلبها له فأخذ العلبة الى الفناء الخلفي للمنزل دون أن يراه أحد ليلتهم كل ما في العلبة بكل شراهة كأنها أخر شيء سيأكله بحياته وعاد إلى الغرفة وكأنه لم يفعل شيء في الليل أثناء نومه والدته تتفقده كالعادة قبل نومها لمست جسده إذ تجده كالجمر وعاجز عن الحركة تماماً جن جنُونها تصرخ وتجول

وتطرق على أبواب غرف المنزل باب تِلو الأخر وهي تحمله بين يديها كالجثة الهامدة وهي تردد " ولدي مات ياسر مات " كل الأسرة تقف بجانبها وهم عاجزون لا يعلمون ماذا يفعلون فهرعوا به إلى المستشفى وهم يرتدون ثياب النوم فلم يكن بوسعهم تغييرها، كل المتواجدين بالمستشفى يتهكم عليهم فمنهم من يرى إنهم أفراد أسرة منحلة أخلاقياً وهناك من يقول إنه حال الأغنياء والمتحضرون الذين يعتقدوا في التعري حرية شخصية ومن باب الموضة والبعض الأخر يحسن الظن بهم يضع لهم عذراً ان حالة مريضهم الحرجة هي التي جعلتهم يخرجون بهذا المنظر، قابلوا الدكتور بمدخل الصالة العامة واخبروه بحالة الطفل ليأخذه على عجل لغرفة الطوارئ ويستدعى جميع طاقم العمل بأن هناك حالة حرجة تستوجب الإنقاذ الفوري بعد ساعة خرج الطبيب من غرفة الطوارئ ليخبرهم إن الطفل قد تناول كم هائل من المركبات الكيميائية مما سبب له تجلط في الدم وشلل مؤقت في الجهاز العصبي وبعض التقرحات بالمعدة بالإضافة لضيق في التنفس والمواد التي تناولها تبينت لنا في الفحوصات إنها إحدى مستحضرات التجميل ولكن لحسن حظهم انهم أتوا به في

الوقت المناسب لو تأخروا لساعة لكانت حالته قد تفاقمت ربما تصل للشلل الدائم يلومهم الطبيب بترك مواد التجميل بمتناول الأطفال فهم لا يعرفون إنها حلوى ام أشياء أخرى فكل ما يلمع وله ألوان جذابه ورائحة عطره يجذبهم ، الأمر الذي جعل عرفة تخرج من طورها لتنفجر بالصراخ بوجه صديقتها مزدلفة وأمام الملأ " بقولها: عايزة تقتلي لي ولدي بكريماتك دي " مزدلفة لم تعرف بما تُجيبها للتدخل والدة مزدلفة وتطلب منهما الاثنتان التوقف عن الشجِار و ان الوضع لا يسمح بذلك ليتحدثوا عن الأمر لاحقاً بالمنزل غير إنهم بالمستشفى وهناك مرضى وأناس أخرون من الواجب إحترامهم بعدم إزعاجهم فيعم الصمت بين افراد العائلة صمت دام ليومين بالمستشفى والطفل بالعناية المركزة الأطباء يعملون بجهد من أجل إنقاذ حياته خرج طبيب ليطمإنهم ان الطفل قد أعُطي العلاج وهو يستجيب له بشكل جيد وإنه تجاوز مرحلة الخطر والأم المسكينة كأنها هي المريضة لم تعرف للنوم طريقاً ولا الأكل او الشرب كل وقتها تقف خلف بوابة العناية المركزة تراقب حالة طلفها عبر الزجاج وتسأل كل طبيب أو ممرض يمر بجانبها "دكتور طمني ولدي حيعيش ولا

حيموت" حالتها يرثى عليها أصبحت محط أنظار كل المارة فتطلب منها والدة مزدلفة أن تتحلى ببعض الصبر ومزدلفة جالسة بالقرب منهم وهي حزينة ودموعها لم تتوقف شاردة عن الكون بتفكيرها.. كل هذا كان بسببي؟ لو وضعت المكياج بمكان آمن لما حدث كل هذا؟ في صباح اليوم التالي أخبرهم الطبيب بأن ياسر قد تعافى ويمكنهم الخروج من المستشفى مع الاستمرار في تناوله بعض الأدوية لحين أن يتعافى تماماً ويطلب منهم أن يضعوا مثل هذه الأغراض بعيداً عن متناول الأطفال، أفراد الاسرة يقومون بجمع أغراضهم التي أتوا بها .. ها هي العائلة على أعتاب البوابة وهم يغادرون المستشفى وياسر في أحضان والدته ومزدلفة تريد أن تأخذه لأحضانها وتضمه إلى نفسها إلا أنها تهاب عرفة بسبب الذي حدث بينهما في المستشفى وردة فعلها القوية التي لم تراها بها من قبل وصلوا إلى المنزل، عرفة تذهب لغرفتها وتغلقها عليها ليس لديها الرغبة في رؤية أحد او التحدث مع أحد فقط تريد الخلو بطفلها للإعتناء به الذي هو بمثابة روحها وأحد أسباب بقاءها على قيد الحياة طفلها الذي كادت أن تفقده لولا العناية الإلهية وإجتهاد الأطباء من أجل إنقاذه، تأتي مزدلفة وتطرق باب

غرفتها بكل قوتها ولم تتوقف لفترة طويلة وتقول لـ عرفة لن اذهب لحين ان تفتحي لي الباب الأمر الذي يجبرها لفتح الباب لتعرف ماذا تـريد منها بعد كـل الذي حصل بسببها، صديقتها بكل إنكسار وحزن تطلب منها السماح وإن ما حدث لم يكن مقصود وتكرر إن الغلط غلطها ولكن كيف لها أن تتهمها بإنها تريد قتل طفلها فياسر بمثابه طفلها هي الأخرى تظل صامتة ولا تجيبها فتعاود الحديث إليها مجدداً "يرضيك تكسري بخاطري وأنا جيتك مكسورة مقهورة " فتجيبها: " انا ما زعلانة منك بس خُفت على ولدي ياسر لو مات ما عارفة بالحصل لي شنو؟" مزدلفة: " ألعني الشيطان موت شنو قولي بسم الله ياهو ولدك حي وبين يديك " تبتسم عرفة وتزيل حاجز الزعل وتعطي ياسر لوالدته الروحية لتحضنه بعد أيام مليئة بالتوتر بين الصديقتين لتقول لها: "الدرس واتعلمناه وانا قررت ما استعمل اي مكياج تاني وللأبد عشان خاطر يسوري وخاطر أم يسوري ".

ها هو ياسر يكمل عامه السادس وهو على هبه أن يدخل المدرسة اللحظة التي تحلم بها عرفة .. طفل الأمس الذي لم يفرق بين الحلوى والمكياج هو الأن يرتدي ملابس المدرسة كل صباح

يذهب لمدرسته ويأتي عصراً فتكون كل الأسرة بإنتظاره الأم والخالة والجدة وحتى الخادمات يعامل في المنزل كأنه ولي العهد المنتظر الكل يخدمه ويقدم له المساعدة، والدته تراجع له دروسه حرفاً حرفاً لا تتركه ينام دون أداء وجاباته فأصبح يتمرد عليها ويميل لمزدلفة أكثر من والدته حاله كحال معظم الأطفال لا يحبذون الضغط والتعامل الجدي يميلون دائماً للشخص الذي يتعاطف معهم ويجلب لهم الحلوى و يذهب معهم للتنزه او يشتري لهم الملابس .. ياسر وجد كل هذه الأشياء عند مزدلفة فهي لم ترفض له طلباً يوماً ولم تضربه كوالدته التي تضربه عندما يغضبها .. أكمل عامه الأول وهو يتفوق على أقرانه في المدرسة يأتي مسرعاً وهو ممسك بنتيجته التحصيلية لنهاية العام الدراسي ليزف خبر نجاحه لوالدته وخالته بأنه الأول الفرحة التي تغمر والدته أكبر من فرحته هو بالنجاح حلمها تحقق عبر طفلها ياسر ما أجمل أن نتمسك بطموحاتنا مهما ضاقت بنا الحياة .. وما أجمل النجاح بعد جهد ومثابرة دامت لسنين بدايتها غرثها جيل وقطف ثمراتها جيل أخر، عجلة الزمن تتسارع ولا مجال لإيقافها من أجل الإستمتاع بلحظات سعيدة

فتدور كما تدور الأرض حول الشمس والقمر حول الأرض أيام سعيدة وأخرى مريرة ، مزدلفة التي تصغر عرفة بعامين أصبح لابد لها أن تتزوج وتكون أُسرة .. فتقدم لمزدلفة شاب أسرته لها علاقة وطيدة مسبقاً مع والد مزدلفة المتوفى وافقت الأسرة بالزواج بما فيهم عرفة إستشيرت بالأمر الذي أسعدها جداً إن صديقتها أخيراً ستدخل حياة أخرى وتكون أسرة مستقلة ، زوج مزدلفة المستقبلي شاب وسيم ومحترم جداً يقيم بكندا قدم للسودان من أجل الزواج فقط .. بعد فترة قصيرة تم الزواج وسط فرحة كبيرة بين أفراد العائلة لم تدم طويلاً لأن أجراس البعاد و الفراق أصبح رنينها بمقربة من الأسرة وكل يوم رنينها يقترب أكثر فأكثر إنه موعد سفر مزدلفة برفقة زوجها للإقامة بكندا.. ها هما يحملان الحقائب متجهون صوب مطار الخرطوم لتودِع أم ياسر أعز صديقة لهأ بل أختاً لها فهما كالتوأم الذي يولد بجسد متلصق لم يفترقا منذ للقاءهما الأول ها هي الطائرة تقلع من المطار تحلق في السماء لتحمل في داخلها قلب عرفة وتختفى خلف السحب وهي لا تعرف متى ستعود صديقتها قبل دقائق قليلة كانت تشاركها مقعد السيارة والأن ترجع إلى المنزل

لوحدها تتحسس المقعد الذي كان يحملهما سوياً تعلم إن عليها أن تعود لتمارس حياتها فالأيام كفيله بأن تعلمها إن دوامة الحياة لا تتوقف حتى تعود إليها صديقتها ..أصبح المنزل كالمقبرة لا أحد يضحك فيه، لتتبدل فرحة الأمس لأحزان بعد مغادرة دينمو السعادة فكيف لمصباح السعادة أن يضيء؟ ومن أين سيستمد طاقته؟ حال أم ياسر لايوصف بكلمات بعد سفر صديقتها فكيف لجسم متحد أن يفقد أحد أطرافه دون توقف وظيفة ما لا يستطيع طرف أخر القيام بمهامها، السنين تمر سريعاً الطفل الذي كان بالأمس يفاعاً يلعب بأرجاء المنزل الأن في المرحلة الثانوية ولكن يبدو أن والد الطفل "محمود " رحل عن الدنيا ولكنه ترك إرثه لمن هو أجدر منه، ياسر يبدو إنه نسخة من والده أصبح سريع الغضب كثير الإنفعالات والشجارات لا يمر يوماً أو يومين إلا ونجد أحداً يطرق باب المنزل يشتكي منه لا يوجد أحد بالحي يسلم من شجاراته ..ووالدته لا ترى سوى إنه محمود أخر بعث بإسم جديد يدعى ياسر الخوف ينتابها تدعو ليلاً ونهاراً أن يكذب ظنها .. دعائها الدائم في الطريق الصحيح يتضح إن ياسر الذي ظنته محمود القادم ما هو إلا صبي في طور

المراهقة ليعود لياسر الذي تعرفه، عجلة الدهر تزيد من إيقاعها المتسارع مرة أخرى ، ياسر ينهي المرحلة الدراسية وهو متفوق في دراسته ويصبح حديث الكل وأصبح حديث الساحة الإعلامية جعل والدته تفتخر به ورأسها عالياً وكذلك جدته الروحية فصوره تزين طرقات العاصمة واللوحات الإعلانية والأعمدة الكهربائية والمركبات العامة، والدة مزدلفة أصبحت كبيرة في السن تحدثت مع عرفة بإنها تريد الذهاب لبورتسودان للبقاء ما اخيها متبقي أيامها في الحياة فهي لم ترى أخيها منذ فترة طويلة وكذلك هو لم يزورها ومزدلفة التي لم تسمع عنها شيء منذ سنين طويلة، الحياة تصفع مجدداً المنزل سيفقد شخص أخر كانت تستمد منه عرفة حنان الأم، المنزل الذي كان ينبُض بالمرح والتفاؤل أصبح خاوياً لا يحوي بداخلة سوى الذكريات الرائعة لتطوف أم ياسر الغرف لتستحضر ضحكاتها شجاراتها مع أختها التي لم تسمع عنها شيء منذ مغادرتها مطار الخرطوم تستحضر كل تفاصيل حياتها بالماضي وكأنه الأمس، ياسر تم قبوله بأعرق الجامعات السودانية حلم الأم تحقق كما ينبقى بواسطة نجلها ولكن لاتعلم ماذا تخبئ لها الأيام فنجاح إبنها الباهر يتحول

لغرور ويرى الكل تحت قدميه كأنه فتى زجاجي قابل للكسر متعجرف نظرته للغير دونية، تطاوله يصل حتى للأم التي أنجبته وحملته تسعة أشهر وهو يتغذى من دماءها أصبح لا يلقي لحديثها ونصائحها بالاً فحديثها ما هو إلا هراء بالنسبة له فهي من جيل لايفقه عن تطور الحياة الشيء فأصبح جل وقته ملك لأصدقاءه الجدد الذين يراهم من مقامه السمردي والرفيع جداً فعندما يستدعى زملاؤه للمنزل يغضب من عفوية وبساطة والدته التي تعامل بها أصدقاؤه يعاملها بحضورهم وكأنها خادمة عنده " ما أبغض تلك الأيام التي تنسينا من نحن ومن أين أتينا وكيف أتينا " ياسر يتخرج من الجامعة دون أن تعلم والدته بيوم تخرجه فهو لم يخبرها ظناً منه إنها لا تليق بالمجتمع الذي يشاركه فرحته في التخرج، بعد تخرجه أصبح شخص ذو شأن وباع طويل حيث أصبح يعمل مهندس بإحدى الشركات الكبرى في السودان، العمل الجديد يسلب منها إبنها كلياً أصبحت وحيدة بالمنزل أسيرة الجدران لا أحد يتحدث إليها تظل وحدها ساهرة لوقت متأخر من الليل لتطمئن عليه لا يستريح لها بالاً مالم تراه يعتب أبواب المنزل رغم رفضه لها وفي الصباح الباكر يغدو إلى

عمله كأن بالمنزل لا يوجد أحد غيره حلم الأمس الذي كانت تتمناه أن يحققه لها فلذات أكبادها تحقق ولكن بشكل عكسي طفلها الذي كانت تخاف عليه من حر الصيف وبرد الشتاء هو الأن لا يعطيها من وقته ولو دقائق للتحدث والجلوس معها رغم كل ذلك تضع له الأعذار بأنه صبي يافع لايفقه للحياة شيئاً وسيعود إليها يوما ما إن يعرف قيمتها، الباش مهندس يقرر الزواج ولم يخبر والدته كذلك ولكنها علمت من خلال تجهيزاته للمنزل .. ليأتي يوم السعد الذي تتمناه كل أم لإبنها طفل الأمس الذي كان يتم غسله من فضلاته عندما يتغوض على ملابسه الطفل الذي لا يفرق بين الحلوى و مستحضرات التجميل أصبح رجلاً له زوجة وقريباً سيكون له أطفال ليمتلئ المنزل فرحاً وهم يلعبون حول جدتهم ولكن مطرقة الحياة تضرب وبكل قوتها .. أم ياسر بعد زواج إبنها اصبحت أكثر وحدة من ذي قبل حيث أصبح حلمها الأن أن ترى إبنها صباحاً ومساءاً ولا ترغب بشيء أكثر من ذلك، إبنها يزيد في تهميشه لها قام بتعديل المنزل ليتناسب مع ذوق زواره قام ببناء غرفة خارج المنزل في الفناء الخلفي للمنزل لآن والدته لا ترتقي لمستوى السكن بمنزله الأسطوري الجديد الأمر الذي أغضب الأم

ولكنها إلتزمت الصمت وهي وبالداخل تحترق وتتقطع من سوء المعاملة التي تتلقاها من إبنها مما تسبب لها بمرض ضغط الدم وضاقت بها الحياة أصبحت لا تحتمل البقاء معه للإهماله وعدم الإكتراث لأمرها بالإضافة لسوء معاملة زوجته كذلك فطلبت منه أن يأخذها للقرية التي أتت منها حيث لا تدري أين هي .. لتكمل متبقى أيامها مع أخوانها إن عثرت عليهم حتى يقبض ملك الموت أمانته، فهي خرجت من القرية وهي بنت يافعة لا تعلم عن الحياة شيئاً ستعود للقرية وهي محملة بالدروس التى لقنتها لها الحياة تلك الفتاة التي قدمت مع زوجها الهارب من القرية خوفاً على حياته ليتركها في منتصف الطريق حائرة وهي تحمل طفله لتتكفل بتربيه هي وحدها الأن تقبض جمرة بيدها لم تحس بحرارتها عندما كانت بداخلها .. الباش مهندس ياسر ابن العاصمة وليس ابن تلك المرأة القروية، تريد أن تعود وهي على أمل أن تجد أخوانها ما زالوا يسكنون بالقرية فوالدتها حتماً ستكون قد توفيت،ولكن ابن العاصمة يرفض طلب الذي حملته منذ أن كان نضفة بحجة إزدحام جدوله العملي ثم إنه لا يرغب بالمغمارة والبحث عن مثل هذه القرى حيث لا يوجد قانون أو

أمن او حتى مكيفات كُهربائية تنفث الهواء البارد، ما هي إلا ثواني والأم تدخل في غيبوبة غضباً من إبنها لا تصحو إلا وهي في المستشفى مستلقية على فراش وهي عاجزة تماماً عن الحركة كعجز طفلها عندما إلتهم المكياج لا تتحرك إلا مقلتيها وهي تسمع حديث الطبيب مع إبنها " إن والدتك الأن مشلولة تماماً بسبب جلطة في المخ على أثرها توقفت وظائف الجهاز العصبي ولن تستطيع العودة للحراك والمشي مرة أخرى " الأم المناضلة المحبة لإبنها التي فعلت المستحيل في صحتها من أجله الأن تحتاج للرعاية من طعام وشراب حتى الغسل عندما تقضي حاجتها أو الإستحمام أو حتى عندما تريد أن تنام على شقها الأخر تحتاج لمن يساعدها ولكن الباشمهندس (خلا) نفسه لا تسمح له بفعل كل ذلك كأنه ولد على هيأته لم يتم غسله عندما يتغوض على ملابسه من قبل بمقدروه أخذ والدته إلى المنزل والإهتمام بها كما فعلت له وهو رضيع وأن يحاول ولو لمرة أن يوفيها مثقال ذرة من حقها الذي لو فعل مافي الدنيا وما عليها لن يستطيع أن يستوفيها حقها بل لن يستطيع إيفاء حق آلام طلقة واحدة من طلقات الولادة وهي تولده ولكنه إتخذ القرار الذي كانت تريده بعد ان

أصبحت لا تريده قرر أخذها للقرية لانه يرى لا جدوى من بقاء جثة هامدة معه بالمنزل، بعد أيام وليالي من السفر والبحث المتواصل ها هم على مدخل القرية الملكية تقف العربة بساحة القرية الشاسعة التي كانت يوماً سبباً في خروج والدته من القرية ها هي تعود إليها وهي محمولة بمساعدة أشخاص لا تستطيع الوقوف على أرجلها ليلتف سكان القرية حول هذه العربة الغريبة التي لم يروا مثلها من ذي قبل لينزل منها شاب وسيم يرتدي بذلة أنيقة ليخاطب عمدة القرية ويسأله عن إخوة يدعون خالد وسالم ووالدهم يدعى موسى قتل منذ فترة طويلة وله زوجة تدعى عوضية ليخبره العمدة إن عوضية توفيت منذ فترة ليست بالقريبة وكذلك خالد قتل غدراً في حادث مماثل لحادث والده ولكن أرشدهم إلى منزل سالم، فهو ما زال يعيش بنفس المنزل القديم للأُسرة يذهب ليقابل سالم في بوابة منزله فينطق الشاب الوسيم شكلياً وقبيح أخلاقياً إن هذه المرأة العاجزة المحمولة على أكتاف أهل القرية ما هي إلا أختاً لسالم تدعى عرفة كانت تقطن معه بنفس هذا المنزل في الصغر وهو أتى بها إليه بطلباً منها وتحقيقاً لرغبتها وخاله يجهل به من هو هذا

الشاب، لم يقل أبداً إنه إبناً لهذه المريضة لآنه يعلم إنها لا تستطيع النطق ولكنها تستطيع السمع في الصباح الباكر ياسر يخبر خاله الذي لا يعلم بحقيقة أمره إن وقت المغادرة قد حان.. و قبل أن يغادر المكان يتحدث إلى خاله سالم وهما خلف اسوار المنزل فيقول له: " كنت أريدها أن تعيش معي ولكن أنا متزوج الأن وسأرزق بأطفال قريباً لا أحتمل رؤية أطفالي وهم ينظروا لأُختك وهي تعاني بسبب مرضها وأيضاً كانت هذه رغبتها وأمنيتها أن تعيش مع أحد من أفراد أسرتها" الحديث الذي تسمعه والدته وهي مستلقية أسفل الشجرة إذا بدمتعها تسيل على خديها من حرقة الألم وهي تنظر عبر فوهات القصب لعربة طفلها الحلم وهي تتوارى خلف أشجار الغابة لأخر مرة في حياتها .

****

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان

فقال : (ارجع إليهما وأضْحِكْهُما كما أبْكَيْتَهُما)

صحيح – التعليق الرغيب

****

تمت

السعودية – رأس تنورة

٢٠١٩/٠٦/٣٠م

الساعة ١:٢٧م

" إن لم أراك وأنا معلول يا حبذا أن

لا أراك وأنا بكامل قوتي "

أرنستو تشي جيفارا

2019

حسن صالح برام

ولد في 25/11/1994 بمدينة بابنوسة.
درس مرحلة الأساس بمدرسة الخدمات الأساسية (أ) بنين.
المرحلة الثانوية بمدرسة المجد الثانوية الخاصة
المرحلة الجامعية بجامعة أمدرمان الإسلامية
كلية الإعلام - قسم العلاقات العامة والإعلان
حائز على جائزة سما لأفضل مصمم بكلية الإعلام (2017 - 2018م) في مهرجان الإسبوع الإعلامي بالتعاون مع قناة الجزيرة القطرية.
الأن مُقيم بالمملكة العربية السعودية بمدينة رأس تنورة - يعمل في وظيفة مصمم جرافيك وخطاط.

للتواصل :
hassanbarram
+249124247927
+966561708078

قلاري الابداع
مكتبة قلاري الابداع